التراث الإسلامي المخطوط و اهتمام المستشرقين به في جامعات هولندا

المتحدث : سعادة الأستاذ الدكتور / قاسم السامرائي- أستاذ علم الاكتناه العربي الإسلامي

و يدير اللقاء سعادة الأستاذ/ صالح الحجي - خبير المخطوطات

الثلاثاء ١ ربيع أول ١٤٢٨هـ الموافق ٢٠ مارس ٢٠٠٧م

المكان : فرع مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بمركز الملك عبدالعزيز التاريخي بالمربع

هذا النص هو تفريغ نصي للشريط المرئي لهذا اللقاء وجميع ما قيل ونوقش فيه ليس بالضرورة أن يعبر عن رأي مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض وإنما يعبر عن رأي أصحابة

رئيس الجلسة :

خير البدايات، بسم الله الرحمن الرحيم، وخير الاستهلال، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، ،

أيها الحضور الكرام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

نحمد الله على أن يسّر لنا هذا اللقاء المبارك الذي يأتي تسديدًا لجهود طيبة يبذلها القائمون على مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، فالشكر لهم جميعًا، ويخص بوافره المعنيون منهم بتنظيم اللقاءات الشهرية إشرافًا وتنفيذًا ومتابعة؛ لأنهم يجعلون منها وسيلة فاعلة للتواصل بين راغب في الاستفادة وساع للإفادة، وما وجود قاسم السامرائي بينكم هذا المساء إلا مثال على ذلك.

المعتاد في مثل هذا المقام، أن يمهد المقدم بنبذة عن المحاضر، وهو تقليد له أهميته، ولكنه في الغالب يقتطع جزءًا غير يسير من الوقت، ولعل السادة منظمي هذا اللقاء، وأنتم أيها الجمهور تعذرونني في الخروج عن هذا التقليد، فإنني مختصر الحديث عن المحاضر الفاضل الأستاذ الدكتور قاسم السامرائي لأسباب ثلاثة: أولاً: شهرته في المحافل العلمية، ومكانته المرموقة تغنيان عن التعريف به، ثانيًا: من شِيَمه عدم الارتياح للحديث عنه كثيرًا بحضوره، وحريّ بي أن أقدر له ذلك وألتزم به، ثالثًا: أن تستمعوا إليه متحدثًا أجدى من أن تستمعوا لغيره متحدثًا عنه.

أيها الإخوة والأخوات لا أزكي على الله أحدا؛ ولكنني أقدم لكم أستاذًا جامعيًا أمضى عقودًا من العطاء في المجال الأكاديمي، وصاحب باع كبير في ساحة التأليف، وخبيرًا بكنه الكتاب مخطوطًا ومطبوعًا، تصنيفًا وشكلاً ومضمونا، وشيخ في مجال تحقيق المخطوطات ودراستها وفهرستها، وسيكون موضوع اللقاء هذه الليلة حول جهود المستشرقين في الاهتمام بالمخطوطات العربية بقدر الإمكان.

أذكر الجميع وأذكر نفسي بأن وقت هذا اللقاء موزع على النحو الآتي: الوقت المخصص للمحاضر أربع وخمسون دقيقة وربما نعطيه دقيقة واحدة، بدءًا من آخر كلمة في هذا التقديم؛ الوقت المخصص

لمشاركة الإخوة والأخوات قرابة خمسين دقيقة، نظرًا لأن وقت المحاضرة قد تأخر أكثر من ربع ساعة، والأولوية في المداخلات والأسئلة ستكون للطلبات المكتوبة التي تحرر في النماذج، التي عادة ما تقدم للضيوف الكرام، ويحرر بها ما يريد أن يداخل به، أو يسأل عنه.

أيها الجمهور الكريم، الدكتور قاسم السامرائي يحل هذه الأيام ضيفًا على مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، لكننا هذا المساء، قد وفدنا جميعًا ضيوفًا عليه؛ فأبشروا بكرم الوفادة، فليتفضل بالحديث مشكورًا.

الدكتور قاسم السامرائي:

الحمد لله الذي لا يحد حمده حد، ولا ينازعه في ملكه ووحدانيته وصمديته شريك ولا ولد، أختصر المحاضرة في جملة واحدة، ثم أفسر لكم ما أريد، إن اهتمام المستشرقين الأوروبيين عمومًا ولا أعني الهولنديين خصوصًا بالتراث الإسلامي وبالعربي على الخصوص، ونشره لم يكن نابعًا لإفادتكم قط، إن النشاط الاستشراقي المنظم قد بدأ في العصور الوسطى النصرانية، وبخاصة في القرن الثامن للميلاد الموافق الثالث الهجري، أي أن ثلاثة قرون مرت قبل اكتشاف فن الطباعة في أوروبا في الوقت الذي أثارت الحملات الصليبية البربرية على فلسطين الإسلامية إلمام الكنيسة الكاثوليكية بالجوانب الدينية والفكرية بالدين الإسلامي، بيد أن هذا الاهتمام لم يكن نابعًا من تطلب المعرفة، وزيادة الفهم لهذه الظاهرة الغريبة عنهم وعنها، بل إنها كانت تبحث فيه عن أسلحة عقائدية فعالة، باستعمالها في الحرب الفكرية ضد الإسلام، ولهذا رأت الكنيسة أن معرفة اللغة العربية وما تحويه من الأسفار الإسلامية كان أمرًا ضروريًا لا يمكنها الاستغناء عنه؛ فبدأت أول مبادرة من رئيس دير كلينين البندكتي الكاثوليكي في محاولة ترجمة معاني القرآن الكريم، وبعض الكتابات اللاتينية، وبعض الكتابات الجدلية ضد الإسلام، فكانت معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية مشوهة ممسوخة، وكانت ترجمة رسالة عبدالمسيح الكندي أول سلاح فكري تشهره النصرانية الأوروبية الكاثوليكية ضد الإسلام، وقد تمت هذه الترجمات من العربية إلى اللاتينية في شمال أسبانيا بمساعدة بعض اليهود الأندلسيين والنصارى الذين كانوا يحسنون العربية، وبخاصة أسرة آل الفخار، التي تكثلكت بعد أن كانت يهودية، ولكن ينفرد عن هؤلاء كلهم اليهودي الكتلاني إيموندس لولوس، أو الذي يسمى بالعربية ريموند لولو، الذي تعلم العربية لغرض تنصري صرف، وإلى جانب هذا الكيان السياسي والفكري المموه بالعالم الإسلامي كان هناك اهتمام من نوع آخر عند فئة قليلة جدًا من النصارى انصب على الجانب العلمي الصرف للفكر الإسلامي، وذلك من خلال ترجمة النصوص العلمية العربية إلى اللغات الأوروبية، وبخاصة إلى اللاتينية في بداية نشاط الترجمة، وترجمت نصوص في حقول: الطب، والرياضيات، وعلم الفلك، والفلسفة، وما إلى ذلك؛ فاحتلت هذه الترجمات - مع نسبتها إلى غير مؤلفيها أحيانًا- مكانًا حيويًا في الجامعات الأوروبية فيما بعد.

من كل هذا يظهر واضحًا أن الاستشراق أظهر منذ البداية خلطًا عجيبًا من الدوافع التنصيرية الدينية والسياسية والفكرية والاهتمام العلمي المحض، ومع هذا فإن الاستشراق لم يستطع أن يتخلى عن هذا الخلط العجيب المتناقض حتى يومنا هذا.

مع إصرار الاستشراق اليوم على اتخاذه الموضوعية دليلاً عن دراساته عن الإسلام، أو النتاج الفكري عن المسلمين بظروفه المختلفة مع وفرة الوسائل اليوم، بينما المعروف أن الاستشراق الأوروبي في القرون الوسطى النصرانية، لم تتوافر لديه الوسائل العلمية الكافية من ترجمات كتب النحو والنصوص العربية أو المعاجم لدراسة اللغة العربية أو الآثار الإسلامية، إلا أن الحماسة الدينية كانت أشد في الدفاع عن الكنيسة ضد الإسلام، بل إن هذه الحماسة التي وقفت سدًا حائلاً في الفهم المجرد، أو التفهم الموضوعي، لم تزل آثارها واضحة المعالم للاستشراق الأوروبي المعاصر في شتى بلدان أوروبا وأمريكا، والمعروف أيضًا أنه كان هناك اهتمام بالعالم العربي والإسلامي بسبب أو لآخر، وكان هؤلاء المهتمون يستقون معلوماتهم من ترجمات سيئة وممسوخة، أو من كتب الرحالين المليئة بالغلو والافتعال، ومع كل هذا فإن الإنسان يستطيع أن يقرر مطمئنًا أن استشراق القرون الوسطى، وبقدر ما يتعلق الأمر بدراسة اللغة العربية، لم يكن يستحق أن نطلق عليه مصطلح استشراق علمي، إذا ما قيس بمستوى الاستشراق الفعلي اليوم، وأساليبه في البحث.

إن تطور مستوى الاستشراق ووصوله إلى مستوى علمي وفق قواعد واضحة بالمعني الحديث لم يحدث في الحقيقة إلا في القرن السابع عشر للميلاد، وعلى الخصوص في الجامعات والكليات التي قامت في شمال أوروبا وإيطاليا، إذ أننا وللمرة الأولى نرى أن الكتب المؤلفة في القواعد العربية والنحو العربي ترى النور في بلدان أوروبية مختلفة، وقد نشر بيتروس كيوتن في مدينة أوسلاو في سنة ١٦٨٠م كتابًا في القواعد العربية في ثلاثة أجزاء، ويحتوي هذا الكتاب على ترجمة لاتينية، وتعد محاولة مارك بيوتو الإيطالي من المحاولات المبكرة في حقل القواعد العربية التي نشرها في روما سنة ١٦٢٠م، وتلحق بها محاولة أبتشيني التي نشرها في روما في سنة ١٦٣١م، وقد استند أبتشيني كذلك في كتابه هذا على كتاب الرومي، والعجيب الغريب أن كتاب الرومي، قد أثر تأثيرًا بالغًا في الاستشراق الأوروبي ما بين القرن السادس عشر والثامن عشر، وقد نشر المستشرق الإيطالي ريموندي كتاب وترجمه إلى اللاتينية لأول مرة في سنة ١٥٩٢م، وقد أصبح هذا الكتاب في النهاية أساس كتاب القواعد العربية الذي نشره المستشرق الهولندي توماس أبينوس في لايدن لأول مرة سنة ١٦١٣م، كان أبينوس يدرس العربية، وقد ظهرت طبعة مختصرة لهذا الكتاب في لايدن أيضًا بعنوان: مبادئ اللغة العربية، حيث أضاف توماس أبينوس إلى هذه الطبعة بعض التمارين في القواعد العربية، وإرشادات حول أسس تنظيم دراسة قواعد اللغة العربية بطريقة ناجحة، لقد استمرت دراسة أبينوس لقواعد اللغة العربية معتمدة في الجامعات الأوروبية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين وفي كل الحلقات الاستشراقية الأوروبية بعد أن نقحت وأضيف إليها، وتكرر طبعها مرات عدة؛

لتكون الكتاب الأول لتدريس العربية للمبتدئين في جميع أوروبا، والطريف في الأمر أيضًا أن كتاب أبينوس لم يفقد أهميته إلا في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، حيث حل كتاب المستشرق الفرنسي سلفستر دوساسي بجزئيه محل كتاب أبينوس، وقد ظهرت طبعة كتاب سلفستر الأولى سنة ١٨١٠م، وظهرت طبعته الثانية المنقحة التي أضاف إليها المؤلف معلومات جديدة سنة ١٨٣٠م.

إن حلول كتاب سلفستر مكان كتاب أبينوس في تدريس العربية، كان في الحقيقة نقطة تحول في تاريخ الاستشراق الأوروبي، والسؤال لماذا، وقد لون الاستشراق الأوروبي بصبغة فرنسية، حين تحولت لغة الاستشراق من اللاتينية إلى الفرنسية، إلى أن سيطرت المدرسة الألمانية الاستشراقية، وتحولت لغة الاستشراق من الفرنسية إلى الألمانية.

لقد كان الاستشراق الهولندي الذي كانت لايدن مركزًا له مسيطرًا على الدراسات اللغوية، وبخاصة فيما يتعلق بالمعجمات العربية، مع أنه سبق وأن كانت هناك محاولات استشراقية مختلفة في أوروبا في القرن السابع عشر الميلادي، في مجال المعاجمات العربية، بيد أن هذه المحاولات لا يمكننا أن نصفها إلا بالمحاولات الفاشلة، وأحسن مثالاً على ذلك محاولة درمانوس سيليزي حين نشر معجم العربية بالعامية والإيطالية، وطبعه في روما في سنة ١٦٣٦م، والظاهر أنه أراده لمساعدة المنصرين في تعليم اللغة العامية؛ للوصول مباشرة إما إلى النصارى العرب أو إلى المسلمين، ومع هذا لم يكن لها أثرٌ فعال إطلاقًا في دراسة اللغة العربية الأدبية في الحلقات الاستشراقية الأوروبية؛ إذ سرعان ما حل معجم المستشرق رفائلنجس اللاتيني العربي، الذي نشره في لايدن ١٦١٣م، محله إلا أن تأثير هذا المعجم أيضًا لم يدم طويلاً، ثم بعد هذا ظهر معجم لاتيني عربي ليعقوب خوليوس، الذي نشره في لايدن أيضًا سنة ١٦٧٤م، وحل محل معجم رفائلنجس، وقد اعتمد خوليوس في تأليف هذا القاموس على بعض المعجمات العربية، منها كتاب القاموس المحيط، وقد استمرت سيطرة قاموس خوليوس على الدراسات الاستشراقية أكثر من قرن ونصف، ثم فقد تأثيره بظهور قاموس رايتخ (فرايتاج)، العربي اللاتيني بأجزائه الأربعة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، إذ طبعه في مدينة هاله الألمانية ما بين سنة ١٨٣٠ و ١٨٣٧م.

إن حلول قاموس رايتخ أو بالألمانية (فرايتاج) مع قاموس خوليوس يعد أيضًا نقطة تحول جديدة في تاريخ الاستشراق الأوروبي؛ إذ حلت اللاتينية محل الألمانية في الدراسات الاستشراقية بعد أن سيطرت المدرسة الألمانية على الاستشراق الأوروبي حينذاك.

إن دراسة اللغة العربية نشطت في القرن السابع عشر الميلادي نشاطًا ملحوظًا على أيدي رجال اللاهوت، إذ كان جُل اهتمامهم منصبًا على دراسة نصوص العهد القديم والجديد في ترجمتهم العربية، ولهذا السبب نشر أردينوس الترجمة العربية للعهد الجديد، أو للإنجيل، والكتب الخمسة الأولى للعهد القديم، وقد اهتم رجال اللاهوت أيضًا بالمعلومات التي سجلها المؤلفون المسلمون وغيرهم للعربية عن

تاريخ النصرانية، ونشر بيتروس كرستن الذي سبق أن نشر كتابًا في القواعد العربية كتابًا بعنوان: حياة الرسل الأربعة، مقتبسة من مخطوطة عربية قديمة، لكن لا نعرف هذه المخطوطة، ومع هذا فإن دراسة اللغة العربية لم تكن في الحقيقة آخر وسيلة لنشر النصرانية أو محاربة الإسلام؛ لأن النشاط الهائل لمركز نشر الدين الكاثوليكي في روما أمر معروف عمومًا، ولعل الكتاب الذي كتبه جودجنولس، الذي توفي سنة ١٦٥٦م، والذي كان أول أستاذ عربي في جامعة روما أنصع مثالاً على نشاط مركز نشر الدين الكاثوليكي التنصيري، وقد نشره هذا المركز بالعربية أيضًا في سنة ١٦٣٧م، وهو ترجمة للنص اللاتيني الذي نشره المركز نفسه في سنة ١٦٣١م، ويقع هذا الكتاب ضمن النشاط التنصيري للكنيسة الكاثوليكية في إيران والقارة الهندية، حين نشر المنصر هيرونينوس كتابًا صغيرًا بالفارسية ضد الإسلام في سنة ١٥٩٦م، انبرى له أحمد بن زين العابدين العلوي للرد عليه برسالة خطية يدوية تناقلتها الأيدي، وهي الآن منشورة ضمن كثير من الكتب الجدلية في سنة ١٩٠٩م، والظاهر أن وقعها كان شديدًا على الكنسية؛ فأوعزت لجودجنولس بالرد عليه فكان هذا الكتاب، وفي روما نفسها نجد جماعة صغيرة من نصارى سوريا ولبنان المارونيين الذين تعاونوا مع مركز نشر الدين الكاثوليكي بعد الاتفاق الذي تم بين الكنيسة المارونية والفاتيكان على اتحاد المارونيين والكاثوليك تحت قيادة بابا روما في سنة ١٥٧٥م، وقد جاء هؤلاء المارون في أول الأمر إلى روما طلابًا لدراسة اللاهوت؛ فأصبحوا بعد ذلك من علماء اللاهوت الكبار في الكنيسة الكاثوليكية، وتعاون هؤلاء منذ البداية مع الفاتيكان وخططه في ترجمة العديد من الكتب اللاهوتية الكاثوليكية إلى اللغة العربية، فوزعت هذه الترجمات بين النحل الأخرى من نصارى الشرق الأوسط، ومن أهم هذه الترجمات كتاب: العقيدة النصرانية لاستعمال المؤمنين الشرقيين، ونبغي من كل ذلك إلى أن نأتي إلى أهمية التراث الإسلامي في الجامعات الأوروبية، وقد تركت الكثير مما قيل عن المراكز التنصيرية في أوروبا لأختصر كلامي على أهمية التراث العربي الإسلامي في جامعات أوروبا.

الحقيقة أن اهتمام الجامعات الأوروبية بالتراث العربي قديم وقديم جدًا، ولكن السؤال ما سر هذا الاهتمام؟ وقد قلت لكم في بداية حديثي: إن ما نشره المستشرقون الأوربيون من نصوص عربية لم تكن في صالح العرب أو المسلمين ولكن في صالح أنفسهم، ولنبدأ من الاتجاه اللاهوتي، الأمر الواضح أن الاتجاه الاستشراقي كان لاهوتيًا صرفًا في أهدافه خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ويظهر هذا الكتاب فيما نشره المستشرقون الأوربيون عن الإسلام خلال هذين القرنين، بيد أن هذا الاتجاه قد تبدل جزئيًا في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي إلى سيطرة الكتابات الاستشراقية التي تناولت النشاط الفكري الدنيوي للإسلام على غيره، هذا التحول في الدراسات الاستشراقية من العناية بالفكر الديني إلى الفكر الدنيوي خاصة في الاستشراق، بل تعداه إلى غيره من المحاولات؛ لأن هذا التحول الذي كان قد سيطر على الفكر الأوروبي من النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، ولم يكن هذا في حقيقة الأمر

إلا نتيجة لتحطم قوة الكنيسة بعد الانشقاقات الكثيرة التي حدث فيها، ووهن دورها في المجتمع الأوروبي بعد أن انعزلت الدولة عن الكنيسة؛ فبرزت ردة الفعل واضحة في الكنيسة في ضروب الفن المختلفة، والدراسات الإنسانية بما في ذلك الدراسات الاستشراقية؛ فزاد اهتمام المستشرقين في هذه الفترة بما فيهم المستشرقون الهولنديون للنصوص التاريخية العربية، أمثال: المغازي للواقدي، وطبقات ابن سعد، وتواريخ مكة، وسيرة ابن هشام، إضافة إلى الموضوعات الجغرافية وكتب البلدان الأخرى، وبدأ المستشرق جوزجاتن الذي سبق ذكره تحقيقه لأول طبعة من كتاب تاريخ الطبري، ونشرها في ثلاثة أجزاء في مدينة جرايستر في ألمانيا سنة ١٨٣١م، وما بعدها، ونشر بنولا بمدينة جوته الألمانية أول طبعة لكتاب الأصطخري في سنة ١٨٣٩م، ولم تزل طبعة رائعة ونفيسة جدًا، لا يمكن الحصول على نسخ منها إلا بشق الأنفس، وقد كانت هذه الطبعة نادرة جدًا، بحيث أن بروكلمان لم يذكرها في كتابه المعروف، ولم تمض بضع سنين على هذه الطبعة حتى ظهرت ترجمة ألمانية للكتاب في هامبورج سنة ١٨٤٥م للمستشرق مترن، وفي هذه الفترة أيضًا ظهرت تحقيقات المستشرق الألماني وستن شلن الذي يعد رائدًا في بحوثه وتحقيقاته في التاريخ الإسلامي، وهو أول مستشرق أبدى اهتمامًا بالغًا بكتب الرجال والتراجم والتاريخ، ونقل بخطه الخاص العديد من المخطوطات ونشرها على الحجر، وتحتوي المكتبات السعودية على الكثير من هذه الطبعات، ومنها كتاب: اللباب في تهذيب الأنساب، وطبقات الحفاظ للذهبي، والأنساب، ووفياة الأعيان، وكتاب المعالم لابن قتيبة، ومعجم ماستعجم للبكري، وما إلى ذلك، وهناك نقطة تحول ظهرت في هذه الفترة، وأغلب ما في هذه النقطة أن هذه الفترة من تاريخ الاستشراق الأوروبي اتصفت بظاهرة افتقارها إلى ما يسمى الاختصاص، إلا في حالات نادرة، إذ لم يكن المستشرق في هذه الفترة مقتصرًا في بحوثه أو دراساته على جانب واحد من جوانب الفكر الإسلامي المتعددة أو تاريخه أو حضارته أو شريعته أو فقهه مثلاً، كان من المفروض أن يكون مستعدًا أن يدس أنفه في كل مظهر من مظاهر الفكر الإسلامي، أو في أي جانب يتعلق بالشرق دون تمييز أو إلمام تام، ولهذا تعد هذه الفترة من أهم الفترات في تاريخ الاستشراق الأوروبي؛ لأنها مهدت السبل لتطور ظاهرة الاختصاص عند المستشرقين التي بدأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وهي أيضًا مهدت السبيل ثانيًا لمرور الجرأة وشعور الاستعلاء في بساطة البحث في كل المظاهر الحضارية المتعددة والمعقدة، وإلا كيف يستطيع أي مستشرق مهما أوتي من قدرة وذكاء أن يلم إلمامًا شاملاً بكل مظهر حضاري إسلامي أو بوذي أو هندي، ويتصدى للكتابة فيه ناهيك عن الإلمام الشامل لكل مظهر حضاري شرقي، والسؤال، ما الذي سبب ذلك؟ إن الحكم على نزعات الاستشراق وميوله في البحث خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي يكمن دون شك في كتابات المستشرق الفرنسي سلفستر دوساسي الذي احتل مركز الصدارة في تاريخ الاستشراق الأوروبي في هذه الفترة، وهو موضوع طريف لم

أجد أحدًا تناوله بالدراسة، تأثير دوساسي على الاستشراق الأوروبي، وهو تأثير ما زال الاستشراق الأوروبي يعاني من تعقيداته النفسية.

لقد رأينا أن كتابه في القواعد العربية قد احتل مكان كتاب المستشرق الهولندي أرفينوس في بداية القرن التاسع عشر الميلادي في حلقات الاستشراق الأوروبي، إضافة إلى ما نشره من الاختيارات الشعرية والنصوص العربية التي اختارها دوساسي لمن يدرس العربية من الطلاب الأوربيين الذين سرعان ما اتخذوا الفرنسية في كتابة بحوثهم كما نراه في بحوث مستشرقي النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وقد نشر دوساسي أيضًا بحوثًا في الأدب العربي وفي البرديات وفي النقوش وفي المخطوطات وفي الببليوجرافيا وفي التاريخ، وفي العقائد، وفي تاريخ الجاهلية، وفي الجغرافية العربية، وفي تاريخ الساسانيين، ولم يبق من الموضوعات شيء إلا كتب فيه، لكن السؤال ماذا كتب؟ الجواب يحتاج إلى بحث، بل إنه نشر المئات من المقالات للتعريف في نقد ما أصدره مستشرقو عصره في المجالات المختلفة، ولهذا يمكننا أن نقول: إنه تحرك في جانب من جوانب الاستشراق دون حدود، وكانت النتيجة أنه ترك أثرًا بالغ الأهمية للأنشطة الاستشراقية في التاريخ المعاصر، ولتحديد مدى هذا الأثر- وكما قلت سابقًا- بأننا نحتاج إلى دراسة جدية تعنى بدراسة آراء دوساسي.

ختامًا لهذه الفقرة أقول: إن النشاط الاستشراقي عملية معقدة، انعكست آثارها على السياسة والاجتماع والحركة الفكرية، بل على الحياة العربية والإسلامية كافة، واختلفت فيها الآراء، وتباينت حتى اختلط الحق بالباطل، وكان من نتاج كل ذلك بلبلة فكرية واجتماعية ما تزال الأمة تعاني آثارها، إذا كان الأمر كذلك فحري بنا أن نتتبع هذه، بل حري بكم، أن تتبعوا هذه العملية بجذورها، وتفهموا دوافعها وأهدافها، فتشكروا المحسن على إحسانه، وتردوا على المسيء إساءته بموضوعية مجردة وخلق عال وعلم واسع.

أعود مرة أخرى إلى اهتمام المستشرقين الهولنديين بالتراث الإسلامي في هولندا المركز الوحيد، أو الجامعة الوحيدة التي تضم بين جدرانها تراثًا عربيًا إسلاميًا إندونيسيًا ومن شتى الثقافات، وأهم ما فيها هي المخطوطات العربية، هذه المخطوطات العربية المفهرسة، وأكثر مما فهرس، وهناك مالا يقل من ٢٠٠٠ مخطوط، وهناك الآلاف من الوثائق المتعلقة بتاريخ الجزيرة، وبتاريخ العالم الإسلامي، لم تفهرس ولم يطّلع عليها إلا القلة القليلة من المهتمين بها، إضافة إلى ذلك، لأن مكتبة جامعة لايدن تحتوى على الآلاف من المخطوطات الإندونيسية بلغاتها المختلفة، التي إما سرقها المستعمرون الهولنديون من إندونيسيا، أو اشتريت ممن باعها لهم، ولقد رأيت بنفسي بعض هذه المخطوطات وعليها آثار دماء؛ فسألت لماذا عليها هذه الآثار، فقالوا: أثناء ثورة أتشيه كان علماء أتشيه يأخذون المخطوطات لقراءتها في فترات الاستراحة من الحرب، وكانوا يضعونها في جيوب جباتهم، فإذا قتلوا تسيل الدماء عليها، وتُأخذ إلى أحد المستشرقين؛

لأنه مستشار القوى الاستعمارية الهولندية، ثم تنقل إلى جامعة لايدن، إضافة إلى كل ذلك هناك كما قلت وثائق "سنوك" نفسه، وكنت أود أن إحدى جامعاتنا أو إحدى المؤسسات تقوم بعمل كبير كامل والتصوير أصبح سهلاً، ثم إعادة دراسة ما فيها من معلومات للخروج بنتائج عن النشاط الاستعماري الهولندي، أو النشاط الاستشراقي الهولندي لمساعدة الاستعمار الهولندي، هذا كله كلام مقتضب وقصير، ويمكننا أن نتكلم عن كل هذا لساعات وساعات.

هناك نقطة أود أن أوضحها قبل الأسئلة أن كثيرًا مما نشر في هولندا نشرته مؤسسة "برل" التي كانت تتعاون مع جامعة لايدن ومع حلقات المستشرقين في نشر النصوص العربية، ومكتبة الملك عبدالعزيز نشرت كتابًا لبعض هذه النصوص، إلا أنه ليس كاملاً، وقد عملت ملحقًا لذلك، لما نشر من المخطوطات أو النصوص العربية في ملحق سوف أنشره قريبًا إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

رئيس الجلسة:

شكر الله لك ما قدمت أستاذنا الفاضل، وكنا نريد أن نقرضك دقيقة واحدة، وأقرضتنا دقائق- جزاك الله خيرًا- ولعل هذا يكون فرصة لكثرة المداخلات والتفاعل خلال هذه الجلسة.

لدي سؤال قد يكون فيه شيء مما يتعلق بالموضوع، سؤال من الأخ حمد بن خنين، سؤاله الأول عن المخطوطات والاهتمام العربي بهذا التراث الثمين؟ وهل هناك من ترجمة للعربية لتلك الاهتمامات؟ ثم السؤال الآخر، ألا ترون أن عموم أوروبا وليس فقط هولندا اهتمت واستفادت من هذا التراث؟ وأخيرًا، هل هناك وثائق مخطوطة للتراث الإسلامي؟ وأين نجدها؟ يتفضل الأستاذ الدكتور قاسم بالإجابة عليها، أما إذا أراد تعقيبًا على الموضوع فليتفضل:

الدكتور قاسم السامرائي:

المخطوطات يُعنى بها عناية تامة؛ لأن أنظمة الدول التي تحتفظ بهذه المخطوطات تفترض وتفرض على المسؤولين عنها العناية التامة، لا يمكن القول: إنها مهملة أو غير مهتم بها، على العكس من كل ذلك، فهي ميسرة لكل باحث وصورها يمكن الحصول عليها بعد دفع ثمن التصوير، وليس هناك من أي حرج من أن تحصل على أية صورة من أية مخطوطة.

رئيس الجلسة:

سؤال من أستاذنا الفاضل الدكتور جمال محمود حجر، يسأل عن الاستشراق الجديد، هل تعتقد أن الاهتمام غير المسبوق الآن باللغة العربية والتاريخ العربي يعد مقدمة لاستشراق جديد؟

الدكتور قاسم السامرائي:

أنا تكلمت عن اهتمام المستشرقين بالتراث، ولم أتكلم عن اتجاهات الاستشراق، بالدرجة الأولى، ولكن قبل أن أدخل إلى المدخل الأساس لابد من مقدمة وقدمت لها، أن الاستشراق في الوقت الحاضر ليس له اهتمام بالتراث العربي والإسلامي إطلاقًا، في كل أوروبا تحول من استشراق قديم تقليدي إلى ما يسمى الآن استشراق أنثروبولوجي وقد غلبت عليه الغلبة الأنثروبولوجية في كل ما يتعلق بدراساته، حتى الرسائل التي يقدمها الطلبة الآتين من بلدان مختلفة تتسم بهذه السمة، سمة حديثة، ليس لها صلة بالماضي إطلاقًا، دور الأئمة في تثقيف الشباب مثلاً، دور المرأة المغربية في تربية الأولاد، شعائر دفن موتى المسلمين في المقابر، شعائر الزواج، شعائر الختان، كلها أصبحت تدور حول دراسات اجتماعية انثروبولوجية أما الدراسات القديمة التي نعرفها اختفت تمامًا.

إن الاهتمام بالتراث بشتى أنواعه حتى الإندونيسي أو العربي أو التركي أو الفارسي، حتى إن كل كراسي التركية والفارسية ألغيت من جامعات هولندا، ولم يبق إلا كرسي اللغة العربية، وكرسي دراسة الإسلام في أوروبا، حتى ما يسمونه دراسة الإسلام في أوروبا، تحول الاستشراق الآن إلى سياسي أكثر من أن يكون علميًا، لكن غلبت عليه العلمية على اعتبار أنه أكاديمي.

لكن لا تتوقعوا أن يأتي لكم مستشرق ويشهر لكم نصًا، اعتمدوا على أنفسكم، والمخطوطات متوافرة لمن يدفع يجد فقط.

الأستاذ الدكتور حيزم:

شكرًا للأستاذ الدكتور السامرائي، أنا سعدت بالاستماع إلى حديثكم، ولكن أريد أن أعبر عن وجهة نظري تجاه الآراء التي عبرتم عنها، فالذي يفهمه المستمع من المداخلة أن الجهد الاستشراقي قد انصب أكثر ما انصب لخدمة مصالح النصارى لا مصالح العرب والمسلمين، وهذا أمر طبيعي، إذا ما درسنا تاريخية الجهد الاستشراقي فالمصلحة الخاصة هذه هي التي تبرر الموضوعات وهي التي تفسر النقلة من نشر التراث إلى القضايا الأنثروبولوجية التي وقع التنبيه إليها، ولكن رغم هذا لا يمكن أن نتجاهل ما قدمه الاستشراق من خدمة للتراث العربي، ولا يمكن أن نغض الطرف عن أثر الاستشراق الفرنسي، فالذي يستمع إلى الحديث الذي ورد عن سلفستر دوساسي قد يتوهم أن الاستشراق الفرنسي وأسماء المستشرقين الفرنسيين عدة، يعني لا يمكن أن ننسى سلفستر دوساسي، كان يريد أن يلم بكل شيء ولم يتعمق في أي شيء، ولكن هناك الكثير من المستشرقين الفرنسيين الآخرين لا يمكن أن نتجاهل خدمة هؤلاء بصفتهم دارسين عربًا في إعادة نشر تراث عربي، طبعًا ربما كان لبعض هؤلاء مآرب تحركها مصالح استعمارية، لكن يجب أن ننبه إلى أن الاستشراق لا يستجيب فقط لعوامل استعمارية، وإنما هو فعل حوار ثقافي حدث بين حضارات مختلفة، وأن ما نشهده اليوم من حدة الصراع قد لا يمثل إلا مرحلة عارضة، فمثل ما تفضلتم سيادتكم بدعوة المستمع

للاهتمام بتراثه ، أنا أدعو إلى شيء من الأمل وإلى عدّ هذا الصراع ظرفًا عارضًا ، وربما يستمر الحوار الثقافي بين الحضارات ، وشكرًا.

الدكتور قاسم السامرائي :

هذا رأيك ولكل رأيه ، وأنا شاكر لك إبداء الرأي.

رئيس الجلسة :

الأستاذ جعفر محمد السقاف يرغب في المداخلة فليتفضل :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي تكرم علينا بهذا اللقاء ، بالبروفيسور قاسم السامرائي الذي كنا نستهدي بمؤلفاته مثل فهرسة المخطوطات لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الذي سلط الأضواء فيه على هذه المخطوطات بالجامعة ، والذي استفدنا منه نحن المهتمين بالمخطوطات ، يمكن أقول : إن هذه المحاضرة وموضوعها في جامعات هولندا ، نحن الحضارمة الذين لنا هجرات إلى جنوب شرق آسيا نحن متعلقين بالموضوع وبالمستشرقين الهولنديين أكثر من غيرنا ، إلا أننا منذ أكثر من ٥٠٠ سنة والهجرة قائمة إلى جنوب شرق آسيا ، لهذا إذا كان الموضوع المستشرقين في جامعات هولندا كنا نتمنى من الدكتور أن يسلط الأضواء على بعض المستشرقين الهولنديين مثل "توزي" ، ومثل "سنوك" ، وغيرهما ، فهؤلاء لهم باع طويل في الاستشراق ، وما إلى ذلك ، كما أن الدكتور عندما تحدث عن الاستشراق وذكر أن أنه ليس له الاهتمام العلمي المحض ، ولا المغرض ، بمعنى أن الاستشراق بسلبياته وإيجابياته ، حبذا لو أن الدكتور يذكر لنا هل سلبيات الاستشراق أكثر أم إيجابياته أكثر؟ لنستفيد ، إذا كانت سلبياته أكثر نكون على حذر من هذه المنشورات التي ينشرونها ، وإذا كانت إيجابياته أكثر نستفيد أكثر وأكثر ، كذلك هو سلط الأضواء على بعض التواريخ القديمة التي اهتم بها المستشرقون كالطبري وغيره ، هناك تاريخ مهم وهو : مروج الذهب ومصادره "للمسعودي" ، نحن نعد أن مروج الذهب ومصادره من أهم المصادر ، الدكتور جواد علي سلط الأضواء على هذا الموضوع مصادر مروج الذهب ، أيضًا هناك مقال منشور لديكم في المجلة العراقية المختصة بالتراث ، الأستاذ لم يتعرض لكتاب مروج الذهب ، حبذا لو تعرض له ؛ لأنه مهم عندنا ، لا أدري إذا كان الموضوع بالنسبة لمروج الذهب هل لأنه متشيع؟ ربما الدكتور يرى أنها حساسيات لم يتعرض له ، هذا موضوع سؤال إليه؟

الموضوع الثالث الذي أحب أن أتعرض له هنا ، بالنسبة للمستشرقين الهولنديين ، نحن على معرفة بـ "سنوك" وله اتصالات ومكاتبات مع مؤرخينا ، ورسائل مع العديد منهم في بتافيا أيام الاستعمار الهولندي والآن يسمونها جاكارتا ، رسائل كثيرة عندنا موثقة في مكتبنا وهو دخل إلى الإسلام في إندونيسيا وزوجوه من ابنة قاض. حبذا لو يسلط الأضواء على موضوع سنوك ، وخاصة أنه في معرض الرياض للكتاب نشروا كتابًا عنه ، مجلدين ، حبذا لو يبدي لنا رأيه. وشكرًا.

الدكتور قاسم السامرائي :

الشيخ السقاف، لو تكلمت حول أوراق سنوك وحدها التي تركها بعد وفاته فبعضها كان متاحًا للباحثين، والبعض الآخر حجبتها ابنته إلى سنة ١٩٩١م، وكنا نحسب أن هذه الأوراق التي حجبتها ابنته كان فيها الشيء الكثير، فلما فتحت لم يكن فيها شيئًا كثيرًا، كنا نود أن نحصل على شهادة إسلامه الرسمية التي أعلنها في جدة وهي موجودة في دفتر مذكراته بخطه هو، وهذه لم تكن مجهولة وكانت معروفة، وقد نشرتها أنا شخصيًا في كتابي بين الموضوعية والافتعالية، أما أن تقول: أن نركز على سنوك، سنوك هو واحد من المستشرقين الهولنديين، ولكن لم أركز على الكثير منهم، لو تتبعت كل المستشرقين هذا يحتاج إلى محاضرة خاصة، أنا تكلمت عن نقاط واتجاهات في الاستشراق الأوروبي عمومًا والاستشراق الهولندي خصوصًا، أما كتابه عن مكة، فأقول لك الآن أمام الملأ، وإذا كان هناك من يقول إنني مخطئ فأستطيع أن أعطيه الدليل، إن كتابه عن مكة كتبه له أحد الأندونيسيين، وأنه ترجم النصوص من العربية إلى الألمانية، ونشر باسمه، والصور التي ظهرت في أطلس إضافي مكة، لم يفعلها هو، وإنما فعلها طبيب مكي اسمه عبدالغفار، وهذه حقيقة علمية صرفة.

رئيس الجلسة :

لعلنا نعرج على سؤال أو مداخلة من الدكتور نصر الدين فرفور، في الواقع هو سؤالان، ولكن سأتلو واحدًا وسأؤجل الآخر إلى وقت آخر، السؤال الأول، هل بدأ الاستشراق فعلاً في القرن الثاني عشر كما ذكرتم؟ أم قبل ذلك بنحو قرن ونصف مما ذكرتم في طليطلة ؟ ويقصد بذلك بداية حركة الترجمة للعلوم العربية الإسلامية من العربية إلى اللاتينية والعبرية، وهل نفرق بين الاستغراب والاستشراق والاستعراب؟ لأن هناك سؤالاً آخر يقول: ماذا عن الاستعراب، الاستعراب والاستشراق؟

الدكتور قاسم السامرائي :

هل أنا مستشرق أم مستعرب؟ ماذا ترى؟ هناك مفاهيم عدة لبداية الاستشراق، لكن نحن نعني به الاستشراق الأكاديمي الذي بدأ أكاديميًا، ثم أصبح إما علميًا صرفًا أو لخدمة سياسات البلد، هذا ما أقصد بالاستشراق، اتسم بالناحية العلمية الصرفة، ثم بعضه اتسم بناحية سياسية استعمارية لمساعدة بلدانهم في استعمار الأقطار الأخرى، أصبحوا مستشارين لوزارات الاستعمار، مثل سنوك، هنا نقطة يجب أن أوضحها، هؤلاء لا يلامون هم في خدمة بلدانهم، الإنسان يتعب في خدمة بلده، نحن نلومه ونظن أنه جاسوس، بالنسبة لحكومته هو موظف يسعى لخدمة بلده ولا يلام على هذا.

رئيس الجلسة : الدكتور عز الدين موسى لديه تعليق :

الدكتور عز الدين موسى :

شكرًا سيدي الرئيس، والشكر موصول لأخي وصديقي قاسم على ما أتحفنا به، لي تعليق في شكل تساؤلات، التساؤل الأول، هل فعلاً الصورة التي ذكرتها في قضية التتابع في الاستشراق من لاتيني إلى فرنسي إلى ألماني هل هي صورة حقيقية؟ أم أن الواقع فيها تزامن وفيها تداخل الصورة أيضًا؟ أما السؤال الثاني تبين في عرضكم لموضوع اللغة، التركيز الواضح على أن المدرسة الهولندية اهتمامها الأساسي هو اللغة، هل هذا أيضًا صحيح؟ في الواقع لم تعكس المحاضرة لنا حجم المخطوطات العربية، والتنوع فيها، ثم في المدرسة الهولندية هناك قضيتان مهمتان، القضية الأولى، قضية التحقيق، وهذا التحقيق كان ينصب على قضايا من التراث الفلكلوري أو الاهتمام بالمستعمرات الهولندية، أم أنهم يهتمون بتراث هو مركز العالم الإسلامي؟ وأيضًا تيسير القضية أنه هل كان اهتمامهم بمستعمراتهم فقط أم بقضية الإسلام ككل، القضية المرتبطة بهذا أيضًا الدراسات، وقد أشار فضيلة الشيخ إلى قضية سنوك وخلافه، الذي نلحظه أن المدرسة الهولندية اهتمت اهتمامًا بالغًا بقضية السيرة النبوية والدراسات حولها، إذن هناك قضايا واهتمام بموضوعات لدى المستشرقين الهولنديين بهذا التراث، يا حبذا لو ألمحت لنا، أو أعطيتنا إضاءات حول هذه القضايا حتى نستفيد من حيث: الحجم، التنوع، التحقيق ونوعيته، وأخيرًا الدراسات، وشكرًا جزيلاً.

الدكتور قاسم السامرائي:

أنا أسألك بالنسبة لاهتمامات الهولنديين بالسيرة النبوية، أعطني مثالاً واحدًا لذلك؟ لم يكن كذلك، إطلاقًا، وإلا نشروا السيرة النبوية، نشروا تاريخ الأندلس، ونشروا تواريخ ابن الطبري، أما مسألة المخطوطات، أنا قلت لكم: إن جامعة ليدن هي مجمع المخطوطات بشتى أنواعها، منها ما شري ومنها ما سرق؛ فاجتمعت مخطوطات تمثل شتى الثقافات، وتعاونت مؤسسة بريل مع حلقات المستشرقين، ثم كان لهم أيضًا جمعيات بين المستشرقين السويديين والهولنديين والدنمركيين؛ فنشروا المعجم المفهرس، كما قال الأخ هل هو لصالحك أنت؟ لا، بل لصالحهم هم، فقد عمل ليصل بهم إلى ما يريدون، لكن بعد ذلك استفدنا نحن منه، هو حقيقة، لكن النية التي دفعتهم إلى نشر هذه المنشورات لم تكن لك ولا لي، أولاً للشهرة العلمية، التنافس العلمي، كان هناك على أشده، وجمع بين دراسات الإسلام، دراسات عبرية، دراسات تركية، دراسات فارسية، فهم ليسوا مثلكم غرفة يجتمع فيها أكثر من ٢٠ أستاذًا، فكان التنافس على أشده حتى يظهر نفسه أنه القادر عن فلان وفلان، وتأخذه الجامعات، أنتم لديكم فكرة مشوهة عن الاستشراق تمامًا، ٤٠ سنة وأنا هناك وكل ما أقوله هو مبني على تجربة شخصية، هذا يقول: كذا، وذاك يقول: كذا، تستطيع أن تقول ما تشاء، لكن واقع الحال غير هذا، يجب أن ندرس الأمر بموضوعية صرفة، وتجرد صرف، لنعطي ما لهم، لهم، وما عليهم، عليهم، هذا هو الأمر العلمي الصرف، فهل أنتم قادرون؟ هذا هو السؤال، افعلوا إن كنتم قادرين، الشقاق والنفاق والقتال الذي لا معنى له انتهى، العمل الآن، العمل الجاد.

رئيس الجلسة :

هناك عدة أسئلة من الأخ عبدالله الحارثي ، لكن أحد هذه الأسئلة يتعلق بالنقطة التي تفضلت بالحديث عنها ، وكذلك يشاركه فيها الدكتور نصر فرفور حول الجهود القائمة لمجابهة هذا الاستشراق ، وكيف نقوم هذه الجهود ، على مستوى الأفراد ، وعلى مستوى المراكز العلمية ، والإسلامية والعربية بشكل خاص؟

الدكتور قاسم السامرائي :

أعطوني عربيًا أو مسلمًا درس وضع المرأة العاملة في هولندا ، هل لديكم أحد؟ ولماذا لم تفعلوا هذا؟ لماذا لم تدرسوهم كما يدرسونكم؟ هل ليس لديكم قابلية؟ ليس لديكم مال؟ ليس لديكم لغة؟ كل شيء لديكم ، لماذا لا تدرسون المجتمع الأوروبي كما يدرسونكم؟ هل في ذلك ضير؟ أعطني مثالاً لأحد يدرس حالة الأطفال اليتامى في الملاجئ؟ هل يعرف أحدكم هذا؟ عناية الدولة ، المجتمع الأوروبي عمومًا بكذا وبكذا ، ليس هناك من أحد ، أنتم جالسون وتأخذون ما يعطونكم.

رئيس الجلسة :

هل هذا يأتي إجابة على سؤال الدكتور نصر فرفور أيضًا؟ أن تقوم الأمة العربية والإسلامية بحركة استغراب معاكسة ، هل هذا ما تقصده في الإجابة السابقة؟

الدكتور قاسم السامرائي :

استغراب ، أو استشراق ، سمّها ما شئت ، المهم أن تدرسوهم كما يدرسونكم ، لماذا التهيب في هذا؟

أريد امرأة عراقية أو مصرية أو غيرها تأتي إلى هناك وتدرس المرأة العاملة ، وترى البون الشاسع الذي تعانيه المرأة الهولندية في المكاتب ، لا يوجد ، لكن هم يكتبون عنكم ، والصحافة والتلفزيون والنقاشات مملوءة بهذا ، ويمكن أن تكتب عشر رسائل دكتوراه عن هذه الظاهرة الوحيدة ، مرتباتهم ومعاملة رؤسائهم ، لكن لا يوجد أحد منكم ، تكتبون عن المرأة السعودية ، وتقنية الحاسب الآلي ، وهكذا.

رئيس الجلسة :

هنا هذه ورقة دون اسم ، يسأل ما موقع المستشرقين الهولنديين بين نظرائهم من المستشرقين الأوروبيين ، هل نستطيع القول : إن الدراسات اللغوية هي التي أسهمت في انتقال كثير من المستشرقين من مدرسة إلى أخرى ، مثلاً من لاتينية إلى فرنسية ثم إلى ألمانية؟

الدكتور قاسم السامرائي :

الدكتور عز الدين إسماعيل ، هناك نقطة أريد أن أوضحها لك ، اهتمام المستشرقين الأوائل باللغة العربية ما كان لحب اللغة العربية ، كان للوصول إلى معميات اللغة العبرية في النصوص اللاهوتية.

رئيس الجلسة :

السؤال كان عن موقع المستشرقين الهولنديين بين نظرائهم؟

الدكتو قاسم السامرائي :

المستشرق الهولندي لا يختلف عن أي مستشرق أوروبي، وكلاهما يغرف من معين واحد، ما هو الفرق بين مستشرق هولندي ومستشرق ألماني؟ هم متعودون ميثودلوجي (Methodology) معينة هذه الفضيلة الرائعة التي لدى المستشرق الهولندي، والتي يفتقر إليها كثير من طلاب الدراسات العليا في البلدان العربية، طلاب الدراسات العليا عنده خلط، الطالب الذي يطلب على المستشرق الهولندي يتعلم منه طريق البحث، والوصول إلى الهدف بدون كثرة الإنشاء والكلمات الفارغة، هذه أهم ما يتعلمه الطالب المشرقي من المستشرق الهولندي، كما أن المستشرق الهولندي ليس له أهواء وليس له نزعات، وله حبه وله كرهه، وليس بملك من الملائكة.

رئيس الجلسة :

أستاذي الفاضل سآخذ نصيبي منك مثل غيري، أنت تفضلت قبل قليل بالإشارة إلى المخطوطات العربية والإسلامية في المكتبات الهولندية، وخاصة جامعة هولندا، (كم هائل من الوثائق) ودعوت إلى العمل بهذه الوسائل، السؤال الذي دائمًا يتبادر إلى أذهاننا كشرقيين، ماذا عن تجاوبهم هناك؟ هل يفتحون المجال؟ أم يتحفظون؟ أم ماذا؟

الدكتور قاسم السامرائي :

بالنسبة للجامعات الأوروبية المسألة تجارية، مسألة تجارية بحتة، أنت تذهب إلى السوق وتشتري بضاعة وتدفع ثمنها، لديهم فهرس، أنت تطلب المخطوطة رقم كذا، إما أن تصور على CD أو على ميكروفيلم، أو على ميكروفيش، المهم أن تدفع، ليس هناك تحفظ في الجامعات الأوروبية في تزويد الباحثين بأنواعهم المختلفة، طالبًا أو أستاذًا بأي صورة من المخطوطات إطلاقًا، وهذه الوثائق التي أشرت إليها كنت قد اقترحت مرارًا وتكرارًا على الجامعات في كل مكان أذهب إليه، ولم ألقَ صدى لها.

رئيس الجلسة :

سؤال من الباحث محمد الصالح، حول سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري، هل هما مترجمان أم اكتفي بتحقيقهما، وأين نشرا وبترجمة وتحقيق من؟

الدكتور قاسم السامرائي :

سيرة ابن هشام مترجمة مرارًا وتكرارًا، إلى الإنجليزية وغيرها، أما الطبري أظنه مترجمًا، لا أدري بالضبط إن كان مترجمًا أم لا! المسعودي مترجم إلى الفرنسية.

رئيس الجلسة :

أستاذنا الدكتور مازن مطبقاني يريد التعليق فليتفضل :

الدكتور مازن مطبقاني :

شكرًا أخ صالح، السؤال: هل هناك مواجهة للاستشراق، أو دراسة للاستشراق؟ جامعة الإمام قبل أكثر من عشرين سنة، أنشأت وحدة الدراسات الاستشراقية والتنصيرية، وكان مؤسسها هو الأستاذ الدكتور قاسم السامرائي، وعمل فيها الدكتور محمد فتحي عثمان، والسيد محمد شاهد، وإبراهيم عكاشة، وغيرهم، وأيضًا أنشئ قسم للاستشراق في المدينة المنورة، ولكن كان الخطأ في إنشاء هذا القسم، أن الذين التحقوا بالقسم، لم يكونوا مؤهلين حقًا لدراسة الاستشراق من ناحية تمكنهم اللغوي، وقدراتهم العقلية، والنفسية، لأن الذي يدرس الاستشراق، أو يدرس الذي كتبه الغربيون عنا يجب أن يكون صاحب روح تحدي وروح مغامرة، وقدرة على السفر والارتحال، المستشرقون يذهلوننا بجهودهم، في الصيف الماضي كنت في القاهرة، ومعهد جوته استضاف سبعة أو ثمانية من الباحثين الألمان الذين يعيشون في أحياء القاهرة الفقيرة المعدمة، وفي أماكن مختلفة ليدرسوا أوضاعنا، أين نحن من دراستهم؟ القسم استمر أكثر من عشرين سنة ثم حورب حتى قضي عليه، ولا أعتقد أن سيكون له قائمة، المطلوب أن تكون وزارة التعليم العالي على مستوى الحدث في العالم، العالم كله يدرسنا ونحن لا نفكر في أن ندرس أحدًا.

أذكر أنني نشرت كتاب: الغرب من الداخل: دراسة للظواهر الاجتماعية، محاولة مبدئية لنعرف كيف يعيش الغرب؟ والدكتور محمد البشر نشر بعض الترجمات، لكن أين الجهد المؤسسي؟ فلا يمكن أن ننفي أن هناك بعض الجهود الفردية، لكن المطلوب جهد مؤسسي، وقرار من أعلى مستوى لنلتفت لدراسة الأمم والشعوب الأخرى، وشكرًا.

الدكتور قاسم السامرائي:

صدقت يا مازن، والصدق في الإنسان قليل، هذه محاولة التي حاولناها، وكنا نود ونرجو ونصلي لتكون لها ثمرة، وإذا هي الآن لهي أنبتت ولا هي ثمرة، فذهبت أدراج الرياح وتراب الجزيرة.

رئيس الجلسة:

الورقتان الأخيرتان في المداخلات والأسئلة، هما خارجتان عن موضوع المحاضرة، فلذلك سأسلمهما للأستاذ الفاضل الدكتور قاسم، إن أراد أن يتحدث عنهما، الأخ محمد سأل سؤالاً، يمكن أن يسأل الدكتور قاسم مباشرة، الأخ الآخر يقول: الخطاط البريطاني المسلم فمرحبًا به جميل حسين، هل هكذا الاسم؟ يسأل عن مخطوطات القرآن الكريم التي يملكها يهودي إيراني.

الدكتور قاسم:

فيما يتعلق بمخطوطات القرآن نعم، حسن الخليلي يمتلكها، وهو يهودي إيراني، ولكنه ملياردير، وهو يشتري ويبيع، ونشرت صور مقتنياته في مجلات عدة في نشرات رائعة، هذه واحدة، الثاني الأخ الذي سأل عن مصير المخطوطات العراقية، أبشره أن أكثرها بخير.

رئيس الجلسة:

بقيت دقائق قليلة، إن أراد أحد المداخلة:

أحد الحضور:

بسم الله الرحمن الرحيم، نشكر الدكتور قاسم السامرائي لهذه المعلومات الواسعة والثمينة، أسأل سؤالاً فقط عن سر تحول الاستشراق الحديث عن دراسة تراث إلى دراسة الأنثروبولوجي ما سر هذا؟ وشكرًا.

الدكتور قاسم السامرائي:

سؤال طريف جدًا، وباختصار، أولاً: انتهاء الاستعمار، بالدرجة الأولى انتهاء الدوافع الاستعمارية، ثانيًا: وجود أقليات إسلامية كبيرة جدًا في البلدان الأوروبية وخاصة في الاتحاد الأوروبي، الاتحاد الأوروبي أولى دراسة الإسلام في أوروبا عناية هائلة الآن، وخصص لها ميزانيات كبيرة جدًا، أظن هذه من الأسباب التي أدت إلى تحول الاستشراق من نظام التقليدي الكلاسيكي إلى النظام الحديث، هذا ما أعرفه، والذي له ظواهر بارزة، ثم أن اهتماماتي ليست بهذا في هولندا، أنا أهتم بالمخطوطات والببليوجرافي .

رئيس الجلسة:

باسمكم جميعًا أقدم الشكر أجزله لأستاذي الفاضل الدكتور قاسم السامرائي، وعلى ألسنتكم أدعو الله أن يجعل في ميزان حسناته كل ما قدم من أعمال علمية وجهود ميدانية أفاد بها جهات كثيرة، ومد من خلالها يده إلى خادم المخطوطات الإسلامية والمهتمين بأمر جمعها وحفظها وصيانتها وترميمها وفهرستها ودراستها وتحقيقها، وشكرًا لكم أيها الإخوة والأخوات على حضوركم، واستماعكم وتفاعلكم، وشكرًا لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض على رعايتها وعنايتها بهذه اللقاءات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.